﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّمل: 88]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

خُضوعُ الخَليقَةِ كُلِّها للهِ تَعالى

لمّا ذَكَر اللّهُ تَعالى دُخورَ العِباد حالَ إتْيانِهم اللّهَ تعالى للقَضاء؛ ذَكَر دُخورَ ما هو أعظَمُ مِنْهُم خَلْقًا وأَهْوَل أمرًا، وهي الجبالُ، فقال سُبْحانَهُ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَامِدَةً﴾: (جمد) تدلُّ اشتقاقاتُها على صلابة وتَيَبُّس[2]، والجامد: ضدُّ الذّائب، والجُمدُ: مكانٌ صلبٌ مرتفعٌ، والجمع: أَجْماد وجِمادٌ، والجَمادُ: الأرض الَّتي لم يصبها مطرٌ، وناقةٌ جَمادٌ: لا لبن لها[3].

ومعنى ﴿جَامِدَةً﴾ في الآية: صلبة ثابتة، والمعنى: تحسبها في رأي العين ساكنة ثابتَةً في أماكنها، والحال أنَّها تمرُّ مَرَّ السَّحاب[4].

2) ﴿أَتْقَنَ﴾: (تقن) تَرْجِعُ تصريفاتُها إلى مَعْنى الإحْكام[5]، يقالُ: رجل تَقِنٌ، أي: حاذق[6]، والتِّقن: هو رُسابة الماء في الرَّبيع، ويقال: تَقَّنوا أرضهم، أي: أَرْسَلوا فيها الماءَ الخاثِر؛ لِتَجود، والتِّقن: طبيعَةُ الشَّيء[7]، والإتقان: الإحكام والإصلاح، وأتقن الشَّيءَ: أحكمَهُ بما يَصْلُح له، ويُناسِبُ طبعه[8]. ومَعْنى ﴿أَتْقَنَ﴾ في الآيةِ: أَحْكَمَ، وجَوَّدَ.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 223.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والخليل، العين: (جمد).
(3) الجوهري، الصحاح: (جمد).
(4) حسن الجمل، معجم وتفسير لغويّ لكلمات القرآن: (جمد).
(5) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح: (تقن).
(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة: (تقن).
(7) الزَّبيدي، تاج العروس: (تقن).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تقن).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وترى الجبال تَظُنُّها واقفةً مُسْتَقِرَّة، وهي تسيرُ سَيْرًا حثيثًا كَسَيْر السَّحاب الذي تسيِّره الرّياح، وهذا مِن صُنْعِ اللهِ سُبحانَهُ الذي أحسَنَ كُلَّ شيءٍ خلقَهُ، وأَتْقَنَهُ، وأحكمَهُ، إنَّ اللهَ خبيرٌ بما تَفْعَلونَ أيُّها النّاس مِن خيرٍ وشرٍّ، وسَيُجازي كُلَّ عاملٍ بعملِهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ وصْلِ الآيَةِ بِما قَبْلَها:

خَـلْـقُ الجِـبـالِ بَـيْنَ حـالِـهـا في الدُّنْيا وحالِها في الآخِرَةِ

الواوُ في قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ عاطفة عِنْدَ جمهور العلماء[2]، وجملة: (تَرى الجِبالَ) معطوفة على جملة: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾، وذلك لبيان حدَثٍ آخرَ مِن أحداث الآخرة.

وجوَّز بعضُ أهلِ العلم أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ معطوفًا على قوله قبلُ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾، فتكون مِن قَبيلِ تَعْدادِ آياتِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِه في خَلْقِ الدُّنيا وتَدْبيرِها، والآية حينئذٍ ليستْ مِنْ مَشاهِدِ يوم القيامَة، بَل لذِكْرِ حَقيقَةٍ مِن حقائقِ الجبال في الدُّنيا، وفي ذلك استدعاءٌ لأهل العِلْم والحِكْمَة؛ لِتَتَوَجَّه أنظارُهُم إلى ما في هذا الكَوْنِ مِن دقيقِ الحِكْمَةِ وبديع الصَّنعة[3].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿وَتَرَى﴾:

آيـاتٌ بـاهِـرَةٌ تَقْتَضي تَجَدُّدَ الرُّؤْيَةِ

جاء التَّعبير بالفعل المضارع ﴿وَتَرَى﴾، مِنْ قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ للدِّلالة على تجدُّد فعل الرُّؤية للجبال؛ إذْ يُخيَّل لمَن يَراها أنَّها جامِدَة مستقِرَّة؛ كلَّما عاودَ النَّظر إليها، مع أنَّها متجدِّدَةُ المرور كتجدُّد مُرور السَّحاب، وفي

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم: 20/ 215.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 48.

ذلك إشارة إلى باهِرِ الآيات الإلهيَّة وعظيم قُدْرَتِه وإتْقانِه صَنْعَتَهُ، وهذا على القول بأنَّ الآية في وصف حالٍ من أحوال الدنيا.

أمّا إذا كانت الآيةُ في وصف أحوال القيامة؛ فيكون فيها إيماءٌ إلى شِدَّة أهوالِ الآخرة، بحيثُ إنَّ النّاظر إلى الجبالِ مَهْما تكرَّر نظرُه إليها؛ يَظُنُّها مستقرَّة ثابتة في أماكِنها، مع أنَّ حالَها حينَها غيرُ ذلك[1].

تَعْيينُ المُخاطَبِ بِـ ﴿وَتَرَى﴾:

أَسْـرارُ الـقُـرْآنِ الكَريمِ لا تَنْقَضي

جوَّزَ بعضُ أهل العلم أن يَكون الخطابُ في ﴿وَتَرَى﴾ للنَّبيِّ ﷺ تعليمًا له لمعنًى يُدْرِكُ هو حقيقتَه، وادِّخارًا لعلماءِ أُمَّته الذين يأتونَ في وقْتِ ظُهور هذهِ الحَقيقَة الدَّقيقة، فالنَّبيُّ ﷺ أطلعَهُ اللهُ سُبحانَهُ على هذا السِّرِّ العجيبِ في نِظام الأرض، واؤْتَمَنَهُ على عِلْمِه بهذا السِّرِّ العجيب في قرآنه، ولم يأمره بتبليغِه؛ إذْ لا تتعلَّق بعلمه للنّاسِ مَصْلَحَةٌ حينئذٍ، حتّى إذا كشَفَ العلمُ عنه مِن نِقابِه؛ وجَد أهلُ القرآن ذلك حقًّا في كتابِه، فاسْتَلّوا سيفَ الحُجَّة به، وكان في قِرابِه[2]، وهذا على القولِ بأنَّ هذه الآية تَصِفُ حالًا مِن أحوال الدُّنْيا، وليسَت مِن أحداثِ يَوْم القيامَة.

ومَن اختارَ أنَّ هذهِ الآيةَ مِن أحداثِ يومِ القيامَةِ - وهو الأظهَرُ - جعل الخِطاب في قول اللهِ تعالى: ﴿وَتَرَى﴾ لغير معيَّنٍ؛ ليعمَّ كلَّ مَن يرى، وجعلوا معنى هذه الآية في معنى قولِه تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: 47][3].

سِرُّ اخْتيارِ لَفْظِ ﴿وَتَرَى﴾ دونَ (يَرَوْا):

اخْتِلافُ دَرَجاتِ ظُـهـورِ الأَدِلَّـةِ والآياتِ

اختلَف مجيءُ لفظ الرُّؤْيَة المُضاف إلى الجبال في بيان جُمودها

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 610.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 49 - 50.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 47.

ومُرورِها في قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ عن لفظ (يرَوا) المضاف إلى سكون اللَّيل وإبصار النَّهار في قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾، ويرجع سرُّ ذلك إلى أنَّ رُؤْية اللَّيل والنَّهار ممّا لا يَحْتاج إلى كبيرِ تأمُّل؛ لتجدُّدها وظهورها لكُلِّ أحدٍ، فصارت الغفلَةُ عَنْها محلَّ استنكارٍ، فجاء التَّعبير عَنْها بـ ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾، بخلاف رُؤْيَة الجِبال؛ فإنَّ مرورَها أمرٌ خاصٌّ قد لا يتفطَّن له مُعْظَمُ الخَلْق، فتوجَّه السُّؤال فيه إلى الخاصَّة ممَّن بصرُهُ حديدٌ، وجاء ذلك بصيغَةِ المُضارِع المفيدة تجديدَ النَّظر، كقوله ﷻ: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ [الملك: 3].

دِلالَةُ الاسْتِعارَةِ في لَفْظِ ﴿جَامِدَةً﴾:

بَيانُ عَظيمِ قُدْرَةِ اللهِ سُبْحانَهُ وبَديعِ صُنْعِهِ

في قولِ الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ شُبِّهَ استقرارُ الجبالِ - في رأي العين - في مكانٍ واحدٍ بالشَّيء الجامدِ بجامِعِ الثَّبات في كلٍّ مِنْهُما، على طريقةِ الاستعارَةِ التَّصريحيَّة التبعيَّة، وذلك لتأكيدِ ما يَظُنُّهُ الرّائي إليها مِنَ الثَّبات والاستقرارِ، ولكنَّ الواقعَ على خلافِ ما ظنَّه، وحَسِبَهُ؛ لدِقَّة خَلْقِ اللهِ سُبْحانَهُ وبَديعِ إحْكامِهِ صُنْعَهُ، هذا إذا كانت الآيةُ في ذِكْرِ أحوال الدُّنيا، أو لِبيانِ شِدَّة الأهوال التي تَعْتَري العبادَ؛ إذا كانتِ الآية في ذِكْرِ أحوالِ الآخرةِ، وهذا أَظْهَرُ وأبينُ، وأوفقُ للسّياق.

بَلاغَةُ التَّشْبيهِ في قَوْلِهِ: ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾:

جميعُ مخلوقاتِ اللهِ تعالى مُتقنة الصُّنْعِ

جاء تشبيهُ الجبالِ بالسَّحابِ في مُرورِها الحثيثِ، فقال سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾، مع أنَّ الرّائيَ يخالُها ثابتَةً في مَكانِها، كما يَخال النّاظِرُ إلى السَّحاب الَّذي يعمُّ الأفق أنَّه مستقرٌّ، والحالُ أنَّهُ ينتقِلُ من صَوْبٍ إلى آخر انتقالًا

يسيرًا، فلا يشعُر النّاظِرُ إلّا وقَد غابَ عَنْهُ[1]، وفي هذا التَّشبيهِ كمال التَّصويرِ، وتقريبُ المَعْنى.

بَلاغَةُ الإدْماجِ في الآيَةِ:

مَتانَةُ الجِبالِ وضَخامَتُها لا يَمْنَعانِ تَلاشيَها يَوْمَ القيامَةِ

أُدْمِج في تشبيهِ الجبالِ بالسَّحاب ما في السَّحاب مِنَ التَّلاشي والتَّخَلْخُل في أَجْزائِه وانتفاشِها، كالوارد في قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝﴾ [القارعة: 5]، والسَّحاب كذلك مِن هذهِ الجِهَةِ كالصّوفِ المَنْفوشِ، فزاد ذلك في وصْفِ الجِبال حالَ مرورها أنَّها تتلاشى، وفي ذلك إشارةٌ إلى أحوال يوم القيامةِ الَّتي تتحوَّل الجبالُ فيها مِنْ حال الثَّباتِ والصَّلابة إلى حالِ التَّلاشي والزَّوالِ[2].

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

التَّأْكيدُ عَلى بَديعِ خَلْقِ اللهِ سُبْحانَهُ

فُصِل قول اللّه تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ عمّا قبلهُ؛ لِما بينَهُما مِن كمالِ الاتِّصال، وذلكَ لأنَّ قولَهُ سُبْحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ جاء مؤكِّدًا لمضمونِ جملة: ﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، بتقدير: صَنَعَ اللّهُ ذلك صنعًا، فقد صُدِّرت هذه الجملةُ بمفعولٍ مطلق ﴿صُنْعَ﴾، وفعلُهُ محذوفٌ، وفي هذا تمجيدٌ لهذا النِّظام العَجيب[3].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿صُنْعَ﴾:

إتْقانُ الخَلْقِ وإجادَتُهُ، دليلُ عظمةِ الخالقِ سبحانه

جاء التَّعبير بلَفْظِ الصُّنع في قولِ اللّه تَعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، ويدلُّ هذا اللَّفظ على التَّركيب والإيجاد والإجادة[4]، فهو صنع مبنيٌّ على حكمة بديعةٍ، وخلق متقن[5]، وفي التَّعبير بالمفعولِ المُطْلَقِ إشارَةٌ إلى التَّعجُّب الَّذي لا يَنْقَطِعُ إلّا بالشُّعورِ بأنَّه صُنْعُ واسِعِ العِلْمِ وخَلْقُهُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 50.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 304.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 224، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 50.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 47.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 305.

دِلالَةُ الإضافَةِ في ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾:

ما يُضافُ إلَى العَظيمِ عَظيمٌ

أُضيفَ الصُّنْعُ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾، في قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾؛ لإرادة التَّعظيم، فيكون فيه زيادةُ وصفٍ للصُّنع ببيانِ كمالِه، فهذا صُنْعُ اللّهِ سُبْحانه، وما كان صُنْعًا للّه تعالى؛ كان على أتمِّ صُنْعٍ وأَحْكَمِه وأنفعِه، فإذا جَعَلَ اللّهُ ﷻ الجبالَ راسياتٍ؛ فلِكَمالِ قُدْرَتِه وسَعَةِ علمِه وتمامِ حِكْمَته، وإذا صيَّرَها هباءً؛ فكذلك هذا دالٌّ على القُدْرَةِ والعِلْمِ والحِكْمَةِ[1].

دِلالَةُ الوَصْفِ بِالمَوْصولِ وصِلَتِهِ:

إتْقانُ الخَلْقِ مُؤْذِنٌ بِتَمامِ الحِكْمَةِ

جاء وصفُ اللّه ﷻ بالمَوْصول وصِلَتِه، في قولِه سُبْحانَهُ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾، وذلك دالٌّ على مَزيدِ الإحْكامِ في الصُّنْعِ، فالَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ كيفَ سَيَكونُ صُنْعُهُ للجِبالِ رُسوًّا وتَسْييرًا؟ فما هذا الصُّنْعُ العجيب إلّا مماثلًا لنظائرِه مِنَ الصَّنائعِ الإلهيَّة الدَّقيقةِ الصُّنْع، وهو أدلُّ على الإتقانِ والإحكام.

وفي الوصفِ بالمَوْصولِ وصِلتِه دلالَةٌ على التَّعميم؛ تَذْييلًا لِما ذكَرَهُ ﷻ مِن تَدْبيرِ حياةِ الإنسانِ باللَّيلِ والنَّهار، وبثباتِ الجِبالِ وتَحَرُّكِها[2]، وبزوالِ نِظامِ العالَمِ ليَتَحوَّلَ إلى عالَمٍ آخَرَ تامِّ الإحكام، يَظْهَرُ فيه تمامُ الحِكْمَةِ مِن خَلْقِ الإنسان.

عِلَّةُ فَصْلِ جُمْلَةِ ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ﴾:

الإتْقانُ أَثَرٌ مِنْ آثارِ العِلْمِ

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ عمّا قبله؛ لكونِه مُفَرَّعًا عَنْهُ ونتيجةً لهُ، فإتقان اللّه تعالى كلَّ شيء أثرٌ من آثار سَعَةِ عِلْمِه، فالَّذي بِعِلْمِه أتقَنَ كُلَّ شيءٍ، هو خبيرٌ بما يفعل الخلق، فليَحْذَروا أَنْ يُخالِفوا عَن أَمْرِه[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 225.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 51.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 51.

دِلالَةُ تَأْكيدِ الجُمْلَةِ بِـ (إنَّ):

غَفْلَةُ المُكَذِّبينَ عَنِ اطِّلاعِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِمْ

جاء قولُ اللهِ سُبْحانَه: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ مؤكَّدًا بـ (إنَّ)، وذلك للإيماءِ إلى غَفْلَة المكذِّبين عن اطِّلاعِ اللهِ سبحانَهُ على أعمالِهم؛ إذ الخبيرُ هوَ العالمُ ببواطِنِ الأمورِ، أو للإشارةِ إلى عَدَمِ جَرْيِ المُكَذِّبين على وفْقِ ما يعلمونَهُ من اطِّلاعِ اللهِ سبحانَهُ عليهم.

سِرُّ اخْتيارِ لَفْظِ ﴿خَبِيرٌ﴾:

اطِّلاعُ اللهِ تَعالى عَلى بَواطِنِ الأُمورِ كُلِّها

اختارَ النَّظْمُ القرآنيُّ لفظَ ﴿خَبِيرٌ﴾ دونَ (عليم) أو (حكيم)؛ وذلك للإشارةِ إلى كمالِ عِلْمِ اللهِ تَعالى وسَعة اطِّلاعِه ومعرفتِه بخَبايا الأمورِ وبواطنِها، وناسبَ ذِكْر هذا الوصفِ بعدَ ذِكْر صُنْعِهِ الدَّقيقِ؛ ليدلَّ على أنَّ خالقَ ذلك والقادرَ عليه هو العالمُ بما دقَّ مِن أفعالِ خَلْقِهِ، ويَلْزَمُ منهُ جَزاؤُهُم وحِسابُهُم.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿تَفْعَلُونَ﴾:

تَخْويفُ المُكَذِّبينَ بِمُجازاةِ اللهِ تَعالى لَهُمْ بِكُلِّ ما فَعَلوهُ

عبَّرت الآيةُ الكريمةُ بلفظ ﴿تَفْعَلُونَ﴾ دون (تَعْمَلونَ)، والنُّكتة في ذلك هي بيانُ شمولِ عِلْمِهِ ﷻ بتصرُّفات الخَلْقِ، ما كان مِنْها عن قَصْدٍ، وما لَم يكُن كذلك؛ لأنَّه في سياق البيانِ لِعَمى المكذِّبين عن الآيات[1]، وإحاطةُ عِلْمِهِ ﷻ بكُلِّ تصرُّفاتهم تهديدٌ لهمْ ووعيدٌ بأنَّه سُبْحانَه سَيُجازيهم بأَعْمالِهم وأفعالهم.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تَفْعَلُونَ﴾:

إحاطَةُ اللهِ تَعالى بِكَيْدِ المُبْطِلينَ في مُقارَعَتِهِمُ الحَقَّ

جاء التَّعبيرُ في الآية بالفعل المضارعِ ﴿تَفْعَلُونَ﴾، في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، ويدلُّ على تجدُّد أفعالِهم وتعدُّدها، واللهُ تعالى عالمٌ بِكُلِّ ما يَفْعلونَهُ، مَهْما تعدَّد، وتجدَّد، وهي إشارة إلى ما كانوا يفعلونه من مواجهة الحقِّ عن قَصْدٍ منهم إلى مقارعتِهِ.

توجيهُ القراءات في قوله: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ وبلاغتها:

قرأ ابن كثير والبصريّان بالغيب، واختلف عن هشام وابن ذكوان

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 225.

وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء[1]، فحجة من قرأ بالياء، أنه حمله على لفظ الغيبة، في قوله: ﴿وَكُلٌّ ءَاتُوهُ دَاخِرِينَ﴾[2]. وقرأ الباقون بالتاء، ردّوه على الخطاب الذي قبله، في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾. فهو خطاب للنبيِّ ﷺ، وأمته داخلون معه في الخطاب، فحمل ﴿تَفْعَلُونَ﴾ على الخطاب العام، فالغُيَّب داخلون في الخطاب، لكنْ غَلَب لفظ الخطاب على لفظ الغيبة[3]. فعلى قراءة الغيبة فيه بلاغة تناغم رؤوس الآي بخطاب واحد، وعلى قراءة الخطاب فيه بلاغة الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع تنشيطًا للسامع.

انسجام الفواصل وبراعة الالتفات

بَلاغَةُ التَّذْييلِ في الآية:

قولُ اللّهِ سبحانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ تذييلٌ، وهو غيرُ جارٍ مَجْرى المثَلِ؛ لاحْتياجِه إلى ما قبلَهُ في فَهْم تَمام المُراد منه، والغرَضُ مِن هذا التَّذييل هو تَذْكيرُ العِباد ووَعْظُهُم وتحذيرُهُم مِن فِعْلِ ما لا يَرْضاهُ اللّه ﷻ، فالتَّذْكيرُ للغافِل عنِ الحِكْمَةِ مِن الخَلْقِ، والوعظُ والتَّحذيرُ لمَن كذَّبَ بالوَعيد، ووَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ مَن كانَ خَبيرًا بأَفْعالِه، سَيُجازيهِ بِها، فَلْيَحْذَروا المُخالفة[4].

تَذْكيرُ الغافِلِ وتَحذيرُ المُكَذِّبِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصُّنْع والعَمَل والفِعْل:

الصُّنْعُ في اللُّغة: عمَلُ شيءٍ بِمَهارَةٍ وحَذْقٍ وإجادَةٍ، يُقال: صنعَ فلانٌ جاريَتَهُ؛ إذا ربّاها وغَذّاها، ولا يُنسب الصُّنع إلى جمادٍ أو غير عاقلٍ.

وأمّا العمل؛ فهو في اللُّغة: كلُّ فعلٍ مقصودٍ، فهوَ أخَصُّ مِنَ

الصُّنْعُ أخَصُّ مِنَ العَمَلِ، والعَمَلُ أَخَصُّ مِنَ الفِعْلِ

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 339.

(2) حيث قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب ﴿ءَاتُوهُ﴾، يُنظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 339.

(3) مكّي، الكشف: 2/ 169.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 51.

الفِعْلِ؛ إذِ الفِعْلُ قَد يقَعُ بغير قصدٍ، فالصُّنع في اللُّغَةِ أخَصُّ مِنَ العمَل؛ لأنَّ الصُّنع يكونُ فيه تجويدٌ وحَذْقٌ ومهارَة، وكُلٌّ مِنَ الصُّنع والعملِ أخَصُّ من الفعلِ.

وقد وردَ ذِكْرُ مادَّة الصّاد والنّون والعين في القرآن الكريم، كقَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: 37]، وقولهِ سُبْحانه: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَحِرٍ﴾ [طه: 69].

وجميعُ السّياقات القُرآنيَّة التي وردت فيها هذهِ المادَّةُ تدُلُّ على مَعْنى الدِّقَّة والإحسانِ والإتْقان، وأمّا العمل؛ فقد وردَ كثيرًا جِدًّا في القرآنِ الكريم، ويدُلُّ استقراءُ مواضِعِ وُرودِهِ فيها على أنَّ العملَ يَشْمَلُ الخيرَ والشَّرَّ، وقد لا يَحْتاجُ إلى إتقانٍ ومَهارة، إلّا أنَّه لا يكونُ إلّا عَن قصدٍ مِن فاعلهِ[1].

(1) محمد محمّد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 319 - 321.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»